ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author
Hayat Ali Hussein M . D
Faculty of General Medicine
University of Wasit

Emil: Hayata@uowasit.edu.iq

Keywords: Tabrizi Linguistic Criticism Islah AL – Logic Clues Hearing Measurement

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 20 Oct 2024
Accepted 23Dec2024
Available online 1 Jan 2025

CC BY

Linguistic criticism in the book tahtheeb Islah AL – Log by – Tabrizi

A B S T R A C T

Al-Khatib Al-Tabrizi is a scholar of the language, and one of the distinguished imams of Arabic. He has many commentaries on various books and collections of great importance, including his commentary on the book Islah Al-Logic by Ibn Al-Sakit, which he called Al-Tahtheeb because he deleted the duplicates, corrected some errors, and added some that needed to be added, and for this reason He called it a refinement, not an explanation, and it is one of the important books whose virtue cannot be denied. It was a code of language and an important source in the times.When explaining the book, Al-Tabrizi resorted to language at all its levels and in all its phases: eloquent and colloquial, prose and poetry, modern and ancient, and he based his book on the basis of the grammatical principles of hearing and analogy, which played an important role in his book despite the widening of his circle of listening and its extension to his era, so he referred to Hearing is used in certain words that indicate hearing, such as (I heard), while analogy is indicated in other words, such as (taken from), and the reader of his book will undoubtedly find the dominance of the listening element over analogy in the field of linguistic research according to Al-Tabrizi .According to Al-Tabrizi, the language was on levels, including the high language, and he did not attribute it to a specific tribe, but rather he only called it high or the people of high, and among them was the colloquial language.

Al-Tabrizi used to stand in front of every word in the language that he found in the book “Islah al-Logic” and deal with it with explanation, analysis, study and interpretation. He was also interested in explaining the poetic line, mentioning the reason for composing the poetic line, taking the linguistic word with an explanation of its language, mentioning its source, the singular plurals of it, the singular plurals of it, the masculine and feminine, as well. About interpreting the verse with all possible and appropriate interpretations in the absence of specific evidence for a specific meaning, while paying attention to the semantic aspects of the word and mentioning the purpose of the poetic poem and the reason for saying it before proceeding to interpret and explain it.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

https://doi.org/10.31185/lark.3971

النّقد اللّغوي في كتاب تهذيب إصلاح المنطق للتبريزي

م.د حياة علي حسين/ كلّية الطب العام / جامعة واسط

الملخص:

الخطيب التبريزي هو عَلَمٌ من أعلام اللّغة، وإمام من أئمّة العربية المتميّزين، له شروحٌ كثيرة على كتب ودواوين متعدّدة ذات أهميّة بالغة، ومنها شرحه على كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت والذي أسماه بالتهذيب لأنّه حذف المكررات وصوّب بعض الأخطاء وأضاف بعض ما يحتاج إلى الإضافة، ولهذا السبب أسماه تهذيباً وليس شرحاً، وهو من الكتب المهمّة التي لا يُنكر فضلها؛ إذ كان مدوّنة من مدوّنات اللّغة ومنهلاً مهماً في الأزمان.

لجأ التبريزي عند شرح الكتاب إلى اللّغة على مستوياتها كافة وفي جميع أطوارها: فصيحة وعامية، نثراً وشعراً، حديثة وقديمة، وأقام كتابه على أساس الأصول النحوية من سماع وقياس؛ إذ لعبا دوراً مهمّاً في كتابه على الرغم من اتساع دائرة السماع عنده وامتداده إلى عصره، فكان يشر إلى السماع بألفاظ معينة تدل على السماع مثل (سمعتُ)، بينما يدل على القياس بألفاظ أخرى مثل (مأخوذة من)، والقارئ لكتابه يجد من دون شك هيمنة عنصر السماع على القياس في ميدان البحث اللّغوي عند التبريزي، أمّا اللّغة فكانت عند التبريزي على مستويات، منها اللّغة العالية، ولغة العامة.

كان التبريزي يقف أمام كل لفظة في اللّغة يجدها في كتاب إصلاح المنطق فيتناولها شرحاً وتحليلاً ودراسة وتفسيراً، وكان أيضاً يهتم بشرح البيت الشعري مع ذكر سبب تأليف البيت الشعري وأخذ اللّفظة اللّغوية مع بيان لغتها وذكر مصدرها ومفرد الجموع لها، وجموع المفرد منها، والمذكر والمؤنث فضلاً عن تأويل البيت بكل التأويلات الممكنة والمناسبة في غياب القرينة المحددة لمعنى معين مع الاهتمام بالجوانب الدلالية للكلمة وذكر غرض القصيدة الشعرية، وسبب قولها قبل الشروع في تفسيرها وشرحها.

الكلمات المفتاحيّة: التبريزي النقد اللّغوي إصلاح المنطق القرائن السّماع القياس

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المقدّمـــة

عُدّ موضوع النّقد اللّغويّ من أهم الموضوعات اللّغويّة التي شغلت الباحثين ويعود السبب في ذلك إلى دقّة المعايير النقدية اللّغوية وما آلت إليه دراسات النقد اللّغوي من نتاجات مهمّة تعود بفوائدَ قيّمة على أهل العربية والباحثين في مضمارها من بناء قواعد نحوية أو صرفية صوتية أو دلالية أو معجمية ومن ثمّ بناء قاعدة خاصة لكلّ قضية.

كان للنقد اللّغوي عند العرب دلالات مختلفة لكنّها تصب جميعاً في ميدان اللّغة، فمنها ما كان مختصّاً بالجانب النّحوي ومنها بالجانب الدلالي ومنها ما كان نقداً بيانيّاً أو لغويّا بحتاً، وجميعها تعتمد في نقدها على معايير مهمة لابد أن تتوفر في الدراسة النقدية، فضلاً عن الصفات التي يجب أن يتصف بها الناقد سواء من الجانب العلمي كالإلمام بجوانب النقد والمعرفة التامة بالثقافة النقدية وما يجب توفّره في الناقد من الأسلحة والأدوات التي تمكنه من الخوض في هذا المجال، فضلاً عن التخصص في هذا المجال، ومنها صفات شخصية كالأمانة العلميّة وعدم العنصريّة والتحكيم القيّم الرشيد، بما يؤهله لإبراز النص اللّغوي وإعلاء شأنه وإظهار محاسنه فيعطي بذلك للمتلقي رُؤى وأفكار ومفاهيم جديدة وقراءات متعدّدة قد تكون غائبة عن بصرهِ وبصيرته.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وقد شمل النقد اللّغوي اللّفظة والجملة والأسلوب وشمل أيضاً المعنى الذي يولد نتيجة اتحاد الحروف مع الأفعال، ويشمل الأخطاء اللغويّة أيضاً، وإظهار المحاسن أيضاً، فالنقد هو إعادة النظر مع التّمعن في القاعدة اللّغوية أو النص المُتداول والعمل على خلقها من جديد بأبهى صورة على وفق اللّغة الصحيحة الفصيحة وذلك من طريق الوقوف على الأخطاء فيها وتصويب القواعد وتدقيقها، فضلاً عن الدفاع عن العلماء والتماس الأعذار لهم وإيجاد مخرجاً للوجوه والتأويلات والآراء التي طرحوها على غير المُعتاد، وقد اقتضت طبيعة البحث ان يكون بمبحثين، الأول مقدمة عن التبريزي، نبذة عن حياته وميلاده و وفاته ولمحة مختصرة عن كتابه ومنهجه فيه، والمبحث الثاني ويتضمن السماع والقياس عند التبريزي.

المبحث الأوّل

التبريزي: نبذة عن حياته ومنهجه في الكتاب:

التبريزي هو:" يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا، من أئمة اللّغة والأدب، أصله من تبريز، ونشأ ببغداد ورحل إلى بلاد الشام، فقرأ (تهذيب اللّغة) للأزهري على أبي العلاء المعري، قيل: أتاه يحمل نسخة (التهذيب) في مخلاة على ظهره، وقد بللها عرقه حتى يُظن أنها غريقة! ودخل مصر ثم عاد إلى بغداد، فقام على خزانة الكتب في المدرسة النظامية إلى أن توفي، من كتبه:(شرح ديوان الحماسة لأبي تمام - أربعة أجزاء، و(تهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت) و (تهذيب الألفاظ لابن السكيت) و(شرح سقط الزند للمعري) و(شرح اختيارات المفضل الضبي) ثلاثة مجلدات، عن نسخة بخطه، و (الوافي في العروض والقوافي) و(شرح القصائد العشر) و(الملخص في إعراب القرآن) و(شرح المشكل من ديوان أبي تمام) مجلدان منه، و(شرح شعر المتنبي) و(شرح اللمع لابن جني) " (الزركلي 2002 8/ 157).

ولد سنة إحدى وعشرين وأربعمئة للهجرة (421هـ –1030م) في تبريز، ونشأ في بغداد، أَخذَ الأَدب عن أَبي العلاء المعرِي، وعن عُبيدِ الله بن علِيٍّ الرّقِّي، وعن أَبي محمد بن الدَّهان، وسمع من الفقِيه سُلَيمٍ، ومن عبد الكرِيم بن مُحمَّدٍ السيَّارِي، ومن أَبِي بكرٍ الخطِيب، وَأَقام في مدينة دمشق مُدَّةً من الزمن، ثُمَّ جاء الى بغداد، وَكَثُرَت تَلامذتُهُ، وَأَقْرَأَ عليهم علمَ اللسان، وأَخذ من علمه الكثير من العلماء منهم أَبو منصورٍ الجوَالِيقِي، وسَعد الخير الأندلسِيّ، ومُحمَّد بن أَبِي بكر السِّنجِيّ، والسِّلَفِيّ، وقد رَوَى عن التبريزي شيخُهُ الخطِيبُ، وكان رجل ثِقَةً، صنَّف الكثير من الشروح منها شرحاً للحمَاس، ولـديوان المتنبِي، ولـسقط الزَّند، ودخل إِلى مِصر، وأَخذَ عن (طَاهِرِ بن بابشَاذَ)، ولَهُ من شعر الجميل الرائِع (الذهبي 2006 14/ 237).

وقد اعترض ياقوت الحموي في معجم الأدباء على تسمية التبريزي بالخطيب قائلاً:" يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني أبو زكريا ابن الخطيب التبريزي، وربّما يقال له الخطيب، وهو وهم "(الحموي 1993 6/ 2823)، كما يُقال إنّه كان مخلطاً في الدين:" الخطِيبُ التبرِيزِيُّ، أَحدُ الأَعلامِ ... كان ثقةٌ في عِلْمه، مخلطٌ في دينِهِ، ولعبٌ بِلسانِهِ، وقيل: إنّه تاب، وتِبرِيزُ: بكسرِ أَوَّلِهِ، قاله ابن ناصر، وقال أبو منصور بن خيرون: ما كانَ بمرضي الطريقة، قُلتُ: تُوُفِّي لليلتينِ بقيتا من جُمَادى الآخِرةِ سنة اثنتين وخمس مائَة، وله إحدى وثمانون سنة " (الذهبي 2006 14/ 237).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وكان التبريزي أحد الأئمّة العِظام في اللّغة والأدب والنّحو، وكان حجة صدوقاً وثبتاً، وقد رحل إلى أبي العلاء المعري وأخذ عنه وعن غيره من العلماء، ودخل مصر، ثم عاد إلى بغداد، فقام على خزانة الكتب في المدرسة النظامية إلى أن توفي (ت 502هـ) (الحموي 1993 6/ 2823).

وممّا يشهد لتميّز التبريزي في اللغة وتمكّنه فيها ما ورد في شرحه على ديوان أبي تمام، حيث أشار هذا الشرح إلى ثقافة موسوعية كبيرة تمثلت في معرفته بـأيّ الألفاظ مستعملة، وأيّها غير المستعمل، وأيّ منها كثيرة الاستعمال، وأيّها القليل، والألفاظ التي تأتي مصاحبة للفظة محددة أو لحقل دلالي محدد، أو لسياق محدد، والألفاظ التي لها أصل عربي والتي ليست بعربية في الأصل، وأيضاً الألفاظ التي لها فعل مستعمل والتي ليس لها ذلك الفعل، وأي من الأوزان الصرفية التي تكون قليلة في الاستعمال وأيها منها كثيرة (سلامة 2012 50).

صنع التبريزي كتابه هذا تهذيباً لكتاب (إصلاح المنطق) ليعقوب بن إسحاق المشهور بابن السّكّيت (ت244هـ)، وكان الكتاب الأخير كتاب لغة جمع فيه ابن السّكيّت أقوال علماء البصرة والكوفة وبعض العرب في أبواب مهمة ومتعدّدة تضمّنت ظواهر متعددة ومختلفة، كظواهر العلّة والتّضعيف والهمز والتّذكير والتّأنيث والتثنية والألفاظ المتقاربة أو المتّفقة، مؤيّداً ما يذكره بالشّواهد مع التفسير البيّن لها ليحافظ على لغة العرب من الخطأ واللّحن، وهو من الكتب المهمّة التي لا يُنكر فضلها؛ إذ كان مدوّنة من مدوّنات اللّغة ومنهلاً باسقاً على مرّ الأزمان.

وقد اهتمّ بكتاب اصلاح المنطق عددٌ من العلماء المشهورين منهم الأزهري (ت370هـ)، وابن سيده (ت 458هـ)، ثم جاء الخطيب التبريزي فشرحه في مؤلَّفٍ له أسماه (تهذيب إصلاح المنطق)، وكان التبريزي قد قرأ كتاب إصلاح المنطق على أبي العلاء المعرّي وعلى شيوخ العراق وكان أيضاً قد أخذ منهم تفسيرات وتصويبات واستدراكات متعددّة، فكتابه غنيٌّ بأقوال أشهر علماء اللّغة والنّحو كالخليل (ت 175هـ)، وسيبويه (ت 180هـ)، والفرّاء (ت 207هـ)، وكان ينقل لهم نصوص طويلة جداً من الكتاب تتجاوز نصف الصفحة (التبريزي 1983 503).

ولم يتوانى التبريزي عن ذكر آراء المدرستين معاً (البصرية والكوفية) إن رأى حتميّة الاستشهاد بهما وذكر آراء أيّ منهما في لفظةٍ ما، كقوله:" نَعاءِ فلاناً أي: انعوه... وكذا يعرفه البصريون، والكوفيون يقولون: نعائي، يُضيفه إلى نفسه، مثل: ضَربي زيداً " (التبريزي 1983 438).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ولم يكن هذا التهذيب شرحاً صنعه الخطيب التبريزي لكتاب إصلاح المنطق فقط بل تصرّف فيه بأمور أخرى كثيرة كحذف ما وجد فيه من المكرّرات وقوّم فيه ما اختلّ من الرواية في الشعر والنثر، وتصرّف أيضاً في بعض ألفاظه ومواده، وفسّر الكثير من الشّواهد الشّعرية والنثرية الموجودة فيه، واستدرك على ابن السّكيت بعضاً من الألفاظ والعبارات، كما صرّح ذلك بنفسه قائلاً:" اصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت دون غيره من كتب اللغة لقلّة حجمه... ورأيتُ فيه تكراراً كثيراً في مواضع كثيرة طال بها الكتاب، وكان أبو العلاء المعري والشّيوخ الذين قرأتُ عليهم هذا الكتاب يكرهون منه التكرار الذي فيه، ورأيتُ الأبيات التي استشهد بها في بعضها خلل وأكثرها يحتاج الى التفسير استعنت بالله تعالى على كتبه وحذف المكرر وتبيين ما يُشكل في بعض المواضع منه، واثبات ما يحتاج اليه من شرح الأبيات على ما فسره أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، ليسهل حفظه ويستغني الناظر فيه والقارئ منه عن كتاب آخر يرجع اليه في معنى بيت يشكل عليه..."(التبريزي 1983 23)، وبسبب هذه الأمور لم يسمّ التبريزي كتابه هذا شرحاً بل أسماه تهذيباً، إلّا أنّ بعض المتأخرين قد أطلقوا على التهذيب أسماء مختلفة، منها (شرح إصلاح المنطق)، و(مختصر إصلاح المنطق)، و(شرح شواهد إصلاح المنطق)، وأيضاً (إيضاح الإصلاح)، إلّا أنّ التبريزي كان قد أبعد نفسه عن كل تلك التسميات لينعت مؤلّفه باسم خاص هو (التهذيب على إصلاح المنطق)؛ لأنّه رأى في عمله ما هو أقرب إلى التهذيب والتنقيح والتحقيق ما يجعله يسمّيه تهذيباً لا غير.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وإنّي قد رأيتُ التبريزي كان هو أيضاً قد كرّر بعض التفسيرات للألفاظ التي جاءت في الكتاب، ومثال ذلك تفسيره للفظة (الرّكب) قائلاً:" والرّكب: جمع راكب وهو صاحب البعير خاصة، ولا يكون الرّكب إلّا أصحاب الإبل لا الدواب، والركب منبت العانة..." (التبريزي 1983 114)، ثم عاد وذكر اللفظة نفسها في موضع آخر وبالتفاسير نفسها، فقال:" والرّكب: جمع راكب، أصحاب الإبل وهم العشرة فما فوقها، والأركوب أكثر من الركب، والرَّكبة أقل من الرَّكب، والرّكاب: الإبل "، (التبريزي 1983 708)، وكان بالإمكان الإحالة فقط إلى الموضع الذي كان قد شرحها فيها سابقاً.

كما أنّي أرى أنّ التبريزي ناقض قوله الأوّل في أنّ الكتاب – إصلاح المنطق - قليل الحجم، ثم عاد وذكر في النّص نفسه منتقداً طول الكتاب، ولا شكّ في أنّ اكثر علماء اللّغة كانوا يكرّرون ما يكتبون أو يقولون وذلك لفائدةٍ ما كأن تكون تلك الفائدة للترسيخ في الأذهان أو لضرورة يقتضيها المقام.

وقد تعقّب ابن الخشّاب (ت567هـ) كتاب التبريزي هذا وألّف استدراكاً ردّ فيه على أوهام التبريزي في تهذيبه على كتاب ابن السكيت أسماه (الرد على التبريزي في تهذيب الإصلاح) (التبريزي 1983 المقدمة 6).

كان التبريزي حريصاً أشد الحرص على انتقاء الألفاظ التي يتناولها وتفسيرها بدقة متناهية كما جاء في باب (فَعَال وفَعيل)؛ إذ فسّر لفظة (كَهَام وكَهيم) و (شَحَاح وشَحيح)، و(صَحَاح وصَحيح)، و(عَقَام وعَقيم)، و (وبَجَال وبَجيل)، فقال:" رجلٌ كَهام وكهيم: للذي لا غناء عنده، وشَحاح وشَحيح، وصَحاح الأديم وصحيح، وعَقام وعَقيم، وبَجال وبجيل: وهو الضخم الجليل، وقالوا: الشّيخ السّيّد " (التبريزي 1983 277)، غير أنّي رأيتُ منه تفسيراً لألفاظ مشهورة لا تحتاج إلى تفسير لأنّا كنّا قد عرفنا أنّه يفسّر المُبهم فقط وما يشكل من الألفاظ، كتفسيره للفظة (السّقي والشّرب والقَسَم والعَبد والمَلَك)، وغيرها من الألفاظ الواضحة (التبريزي 1983 41 141 189 196 209).

وقد اعتنى التبريزي أيضاً بالأبيات الشعرية عناية فائقة فكان ينسبها إلى أصحابها ويفسر كل لفظة مُبهمة أو غريبة في البيت الشّعري مع توثيق الرواية وتوظيف القرائن والسّمات والخصائص الأساسية للبيئة اللّغوية الصّحيحة والفصيحة المستقرة في عصره آنذاك، فضلاً عن الاعتماد التام على الاستعمال اللّغوي أو الكلامي للألفاظ مع الاهتمام الدلالي باللفظة نفسها.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وكان أيضاً يحرص على ذكر غرض ابيات القصيدة وسبب قولها فضلاً عن شرحها وبيان معاني ألفاظها، ومثال ذلك في ذكره لأبيات عمرو بن حسان وهي:

ألا يا أمّ قيس لا تلومي وابقي أنما ذا الناس هام

أجدكِ هل رأيتِ أبا قيس أطال حياته النّعمُ الرّكام؟

وكسرى إذ تقسّمه بنوه بأسيافٍ كما اقتسم اللّحام

تمخّضت المنون له بيومٍ أنَى ولكلّ حاملة تمام

فقال التبريزي:" وسبب هذه الأبيات أنّ رجلاً يُقال له إساف نزل على عمرو بن حسّان فعقر له ناقة واشترى له بأخرى خمراً فلامته امرأته فقال هذه الأبيات، يكفّ عاذلته عن لومه على إنفاق ماله، ويقول: إنّ المصير الموت، فما وجه عذلك لي على تفريقه؟ " (التبريزي 1983 25)، وعن ابيات لبيد في قوله:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيدُ؟

وغنيتُ سبتاً قبل مجرى داحسٍ لو كان للنفس اللجوج خلودُ

فقال التبريزي:" غنيتُ أي بقيتُ دهراً قبل ان تقع الحرب بين عبس وذبيان بسبب سبق داحس والغبراء، وكان داحس والغبراء لقيس بن زهير العبسي، فراهنه حذيفة بن بدر على أن يُجري كل واحدٍ مهما فرسين، ذكراً وأنثى، فأجرى قيس داحس والغبراء، وأجرى حذيفة الخطار والحنفاء، وقيل قُرُزلاً والحنفاء وكان السبق لقيس فمنعته فزارة فوقع بينهم شر، والخبر مشهور يصف أنه قد طال عمره وكان عمّر في الجاهلية وجاء الإسلام فعمّر فيه " (التبريزي 1983 42)؛ إذ كان التبريزي عندما يتناول البيت الشعري يقوم بتفسيره تفسيراً جميلاً سلساً ممّا يجعل القارئ ينجذب إلى تلك الأبيات، فتتولّد في نفسه الرّغبة إلى مواصلة القراءة، وهاك مثلاً على ما أقول تناولهُ لبيت من الشعر لمنظور بن مرثد الأسدي قائلاً:

يتركنَ في كل مناخ أبس كل جنين مشعر في الغِرس

فيقول التبريزي هنا واصفاً البيت وشارحاً له:" يصف نوقاً قد سقّطت أولادها لشدّة الكلال والإعياء من السير، وإذا اتصل السير القت الحوامل من الإبل والخيل أجنّتها " (التبريزي 1983 33).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ومن الأمور التي اتّكأ عليها التبريزي في كتابه هي المعنى؛ حيث اشتغل على التراكيب الموجودة في اللّغة، فمن المعروف أنّ لكل تركيب وظيفة معيّنة تختلف عن غيرها:"... فكل تركيب يؤدي وظيفة مختلفة عن غيره وعندئذٍ يمكن للمتكلم تنظيم كتل الكلام طبقاً لظروف الكلام" (العبيدي و عبد نعيم 2013 1)، فوظّف المعنى في توضيح تراكيب وألفاظ ابن السكيت وشرح الأبيات الشعرية من طريق ما يسمّى (القرائن)، وقد كانت تلك القرائن مصباحاً يهديه إلى تلك المعاني، وهو في كثير من المواضع لا يشير إلى استعمالها بصورة مباشرة، ولكننا نفهمها فهماً ضمنيًا، وهذه القرائن هي: قرائن (السياق اللّغويLinguistic Context)، أو (قرائن السياق الداخلي للحدث اللّغوي Verbal Context)، وتحت قرينة السياق اللّغوي يمكن أن نضع مجموعة من القرائن الفرعية التي استخدمها التبريزي في تهذيبه، وهي:

1_ القرينة اللّفظية.

2_ القرينة النّحوية.

3_ القرينة الصّرفية.

4_ القرينة المعجمية.

5_ القرينة العروضية.

6_ قرينة الاستعمال اللّغوي.

7_ قرينة خصائص الصّناعة الشعرية.

8_ قرينة خصائص الشّاعر الأسلوبية.

فلو أخذنا مثلاً استعماله للقرينة اللّفظية في تعليقه على شعر الفرزدق الآتي:

إذا شئت غنّاني من العاج قاصفٌ على معصمٍ ريّانٍ لم يتخدّدِ

لبيضاء من أهل المدينة لم تذق ولم تتبع حمولة مجحدِ

والقينة: الأمَة المُغنيّة، جاء في لسان العرب:" والقَيْنةُ الأَمَة المُغنّية، تكون من التزيُّن؛ لأَنّها كانت تتزيّن، ورُبَّما قالُوا للمُتزيِّن باللّباس من الرِّجالِ قَيْنة؛ قال: وهي كلمةٌ هُذليّة، وقيل: القَيْنة الأَمَة، مُغَنّية كانت أَو غير مُغَنِّيَةٍ، قال اللَّيثُ: عَوامُّ النَّاسِ يقولون القَيْنة الْمُغَنِّيَةُ، قالَ أَبو منصور: إنما قِيلَ للمُغنّية قَيْنةٌ إِذا كان الغناءُ صناعة لهَا، وذلك مِن عَمَلِ الإِماء دُونَ الحرائِرِ، والقَيْنةُ: الجارِيَةُ تخدُمُ فحسب " (الأفريقي 1414 هـ 13/ 351).

فيقول التبريزي هنا:" يذكر قَينة كان يعتادها بالمدينة، وقوله:(من العاج قاصفُ) يريد أنّ سوارها من عاج، وهي تحرّك يدها في الغناء فيتحرك، وإنما يعنيها بهذا، وقوله: (على معصمٍ ريّانٍ) أي: سوارها على ذراع سمينة، لم يتخدد: أي لم يتقبّض جلده، واللام في لبيضاء صلة معصم، يريد: على معصم امرأة بيضاء..." (التبريزي 1297 232)، والقينة، الأمَة المُغنيّة، فهنا وظّف التبريزي سياق الحال في الكلام موضع الشرح متخذاً من القرينة اللفظية سلاحاً دالاً على تفسيره لأبيات الفرزدق، ففي قوله (من العاج قاصف)، أي سوارها، وهو ذا القرينة اللفظية المحذوفة ودلّ عليه المقام وسياق الحال وقصد المتكلّم، وأكّد كلامه بذكره لعبارة الفرزدق:(على معصمٍ ريّان)، فالأكيد المعروف أنّ السّوار محلّه المعصم، والكلام عن امرأة، ولفظها محذوفٌ أيضاً في الكلام ودلّ عليها حرف اللام في لفظة (لبيضاء)، والمعنى: امرأة بيضاء.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وجميع تلك القرائن واضحة بيّنة في تفسيره للأبيات الشعرية، فالتبريزي كان يوظّف سياق الحال والمعنى التداولي في تفسير وتحليل الألفاظ اللّغوية الواردة في الأبيات الشعرية في إصلاح المنطق، فبعد أن يفسر الألفاظ واحدة تلو الأخرى يربط بينها بسياق حالٍ لطيفٍ يخلق لنا صورة شاعرية متكاملة وكأنه يجعل من تلك الألفاظ عقد لؤلؤٍ جميلٍ يُظهر بها تلك الصورة البيانية للأبيات الشعرية المطروقة.

المبحث الثاني

القياس والسماع عند التبريزي في التهذيب:

اعتمد الخطيب التبريزي في الاستشهاد على القرآن والمسموع من كلام العرب شعراً ونثراً فضلاً عن اعتماده على الأمثال والحِكم في ذلك الاستشهاد.

السماع: وهو أول ما يلفت نظر القارئ في تهذيب التبريزي على كتاب إصلاح المنطق؛ إذ كان مولعاً باستخدام كلمة (يُقَال) التي نراها تتكرر كثيراً مع كل بيت يفسره أو شرح يطرحه في الكتاب، بل أحيانا نجدها تتكرر في شرح البيت الواحد أو الطرح الواحد مرتين أو ثلاث مرات، كقوله:(ويُقال: ما عندك مَعونة ولا مَعانة ولا عون، ويُقال: ما بين فلان وفلان مَقرُبة ومَقرَبة، وقَرابة وقُرابة وقُرب وقُربى، ويُقال: مَعرَكة ومَعرُكة..." (التبريزي 1983 305).

فهو كان يشرح البيت ثم يؤيده بما (يُقَال) في القرآن أو قراءاته أو في الشعر والأمثال والكلام المتمثل في اللّغة الفصحى القديمة أو الحديثة، أو قد يذكر المؤلّف عبارة (ولم نسمعها)، أو (سمعتُ)، أو (سمعناهم) أو (سمعناه)، كقوله في باب (مَفعِل ومَفعَل):" ولا يجوز أن نقول: هو مخفف من (فَعْلي) كما قلنا في (حَيريِ دهر)؛ لأنّا سمعناهم يقولون: حَيريّ دهر، فلمّا سمعناه مخفّفاً علمنا أنّه مُخفّف من هذا المشدّد " (التبريزي 1983 310).

وكان الخطيب التبريزي لا يجد حرجاً في أن تكون اللّغة مُستعملة حتى عصره، وعلى مستوياتها كافّة، فهي جميعها موضع استعمالٍ لديه، كقوله في لفظة (لبوة):" ... والعامة تقول: لُوي بلا همز، كأنه تصغير لأي، وهو الثور الوحشي "(التبريزي 1983 360)، وهذا لا يمنعه في بعض الأحيان أن يصف تلك اللّغة بأن يقول عنها رديئة أو فصيحة أو يكتفي بذكر فقط أنّها (لغة)، ومثال ما ذكرنا

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

قوله"... وهي الدَّجاجة والدَّجاج ولا تقل الدِّجاج، فهي لغة رديئة " (التبريزي 1983 397)، وقوله:" ... وهي الإصبَع، فهذه اللّغة الفصيحة " (التبريزي 1983 424)، وقوله:"... طَهَرت المرأة تطهُر، وطَهُرت لغة " (التبريزي 1983 486).

وتردد لفظة (يُقال) ومشتقاتها اللافت للنظر عند التبريزي يدل دلالة واضحة على تقيده بـالسماع، والاعتماد عليه كثيراً في التهذيب؛ إذ إنّ السماع عند التبريزي هو الذي مهّد الطريق لـتحديد المستعمل من الألفاظ اللّغوية في اللّغة من غير المستعمل منها، وأيّها أكثر استعمالاً وتداولاً على ألسنة العرب في النّثر والشّعر، وما هو من كلام العرب الفصحاء وما هو من غيره، بل إننا نجد في أقواله ما يشير صراحة وضمنا لتفضيله (السماع) على (القياس) من طريق استعماله للفظة (سمعتُ) أو لفظة (لم أسمع)، ومثال ذلك قوله:" ويُقال: لي بك قُدوة و قِدوة، وداري حِذوة دارك وحُذوة دارك وحِذوة دارك، ونِسوة ونُسوة، وخِصية و خُصية ... وام أسمع خِصية وسمعت خُصياه، ولم يقولوا خُصي للواحد... وإخوة وأُخوة بالضم والكسر من القرابة، ﴿ وجاء إخوة يوسف ﴾ (يوسف 58)، من القرابة، ومن الصداقة قوله، ﴿ إخواناً على سرر متقابلين ﴾ (الحجر 47) " (التبريزي 1297 983)، والناظر إلى استشهاد التبريزي بهاتين الآيتين يجده يذكر الآية دون أن يسبقها ب (قال تعالى) أو إلى أي ما يُشير إلى أنّ النّص الآتي هو نصٌّ مقدس من عند الله تعالى، والباحث في تهذيبه يجد الكثير من الآيات القرآنية التي استشهد بها التبريزي من دون نسبة مخصوصة إلى الله جلّ وعلا، ومثل ذلك قوله:" ويقولون: رأيتُ، فإذا صاروا إلى الفعل المستقبل قالوا: أنت ترى ونحن نرى، فلم يهمزوا، ﴿ ومنه لترون الجحيم ﴾ (الكوثر 6) (التبريزي 1983 389)، وأيضاً:"... أي: قَرَنّاهم بهنّ، وقوله:﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ أي: وقرناءهم) (الصافات 22) (التبريزي 1983 693)، وقوله:" وجَنِفتُ أجنفإذا مِلتَ، ومنه ﴿ فَمَن خاف مِن موصٍ جَنَفاً أو إثماً ﴾ (البقرة 182) " (التبريزي 1983 490).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

القياس: وقد لعب القياس أيضاً مع الخطيب التبريزي دوراً مهماً في التهذيب، إذ نجد مواضع متعدّدة استعمله فيها كوسيلة للشرح والإبانة عن المعنى، فكان يقيس لفظة على أُخرى إن احتاج إلى القياس في المصدر أو الجمع، كقوله في لفظة (النّقس): " والنّقس: مصدر نقستُ الرجل أنقسه نقساً، وهو أن تلقّبه وتعيبه، والنّقس: من المِداد، وجمعه أنقاس، مثل: عدل وأعدال، وحكى أبو زيد: إنقاس، بكسر الهمزة مثل إعصار وأعاصير " (التبريزي 1297 55).

وإنّنا إذ نلمح من أمر القياس عند التبريزي أنّه يرادف مصطلحات معينة كالاشتقاق، أو الأخذ، كأن يذكر لفظة (مأخوذ من)، كقوله:" المودونة: مأخوذة من وَدَنت الشيء إذا بَلّلته، يريد أنّها قد بُلّت أطرافها بالحِنّاء " (التبريزي 1983 281)، أو يصرّح بلفظ (القياس) إن كانت اللّفظة التي يتناولها هي على القياس أو مخالفة له، كقوله:"... إبلٌ نُقّاش، والقياس: نوافِش، لأنّ فُعّالاً لِمن يعقِل كما يقال: شاهدٌ وشُهّاد " (التبريزي 1983 117)، وقد جمع بين لفظتي القياس والأخذ في نصٍّ له قال فيه" ويُقال اتّقى يتّقي على وزن افتعل يفتعل، وفاء الفعل منه واو قُلبت تاء، والأصل اوتقى، فهو مثل اتّعد من الوعد، وهو مأخوذ من وقى يَقي، والواقية من ذلك، والتقى أصله الوقى، فقُلبت الواو تاء، وقلبها في التقى على غير قياس" (التبريزي 1297 68).

ومهما يكن من أمر فالقياس عند الخطيب التبريزي كان عنصراً حاضراً في تهذيبه على إصلاح المنطق لكنّه كان أقل فعالية من عنصر السماع، فالأخير كان له الدور الأكثر فعالية وكان عليه المُعتمد الأكبر والأهم في تفسيرات التبريزي وتحليلاته لعناصر النّص اللّغوي والشّعري في كتاب إصلاح المنطق، ودائرة السماع التي تحرك فيها الخطيب واسعة وممتدة من العصر الجاهلي حتى عصرهم، واللّغة عنده تنقسم إلى قسمين:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

القسم الأول: اللّغة العالية، أو لغة أهل العالية، وهذا مصطلح من صناعة التبريزي نفسه ويقصد بها اللّغة الفصيحة، كقوله:" وهو النِّطَع، وهي اللّغة العالية، ويقال: نَطْع ونِطْع " (التبريزي 1983 413)، وقد يكون القصد من أهل العالية هم أهل الحجاز لا غير؛ لأنّه يتبعه بقولٍ لبني تميم، كما هو ماثلٌ في قوله الآتي:" وسُمّ الخياط: للثقب، وكذلك السّم القاتل، وجمعه: سِمام، وقرأ العدوي: ﴿ حتّى يَلِج الجَمَل في سُم الخياط ﴾ (الأعراف 40)، وأهل العالية يقولون: السُّم والشُّهد، وتميم: السَّم والشّهد " (التبريزي 1297 223)، وقوله أيضاً:"... وأهل العالية يقولون: الوَتْر في العددِ والوِتْر في الذَّحلِ، وتميم تقول: وِتْر في العددِ والذَّحلِ سواءً " (التبريزي 1983 360).

القسم الثاني: اللّغة المتداولة، وهي لغة عامّة الناس، ولم يتحرّج التبريزي في الاستشهاد بها في تفسير الألفاظ التي تناولها في التهذيب، أو شرحه للأبيات الشعرية، كقوله في لفظة (لبوة):"... والعامة تقول: لُوي بلا همز، كأنه تصغير لأي، وهو الثور الوحشي" (التبريزي 1983 86)، وقوله أيضاً:" وهو الزُّما وَرْدُ: للذي تقول العامة بِزْما وَرْد " (التبريزي 1983 405).

وكان القسم الأول – اللّغة العالية - هو الذي تحركت فيه (دائرة السماع) عند التبريزي ذهاباً وإياباً، من العصر الجاهلي إلى عصره في بداية القرن السادس الهجري، فقد استشهد بشعر امرئ القيس وأوس بن حجر وزهير بن أبي سلمى وعدي بن زيد ولذي الرمة وللعجاج والأخطل والنابغة الذبياني والأعشى والفرزدق والكميت ولأبي النجم العجلي والحطيئة وحسان بن ثابت، وغيرهم الكثير من مختلف الأزمان والعصور، فلم يحدد التبريزي مدة زمنية معينة بشكل مؤكد وحاسم يرجع إليها (سماعه)، أو (قياسه)، بل كانت اللّغة على طول هذا الامتداد الزمني هي عنده لغة (مقبولة)، مع ملاحظة ترجيح كفّة الاعتماد في السماع على الشعر العربي على القرآن الكريم؛ إذ رأيتُ الفاظاً كثيرة قد ذُكرت في القرآن كثيراً إلّا أنّه فضّل الاستشهاد لها بالشعر لا غيره، كلفظتي عجيب وعجاب (التبريزي 1983 281).

أمّا عن الأمثال والحِكم العربيّة فهي أيضاً قد استعان بها التبريزي في تهذيبه، ومن ذلك قوله:" اللّهمّ سَمْع لا بلْغ، وسِمْع لا بِلْغ، وسَمْعاً لا بَلْغاً، وسِمْعاً لا بِلغْاً، إذا سمع الرجل بالخبر لا يعجبه قال ذلك، ومعناه: يُسمَع به ولا يَتِم " (التبريزي 1983 89)، وهو مثلُ جاء لِما يُسمَع ويُخشى وقوعه، جاء في مجمع الأمثال :" سَمْعاً لا بَلْغاً، ويضرب في الخبر لا يعجب، أي نسمع به ولا يتم، ويقال:(سِمْعاً لا بِلْغاً)، وقال الكسائي إذا سمع الرجل الخبرَ لا يعجبه، قال اللّهم: سَمْع لا بَلْغ، وسِمْع لا بِلْغ " (النيسابوري 1838 244/1)، ومنه أيضاً قوله:" واستنسر البَغاث: صار نسراً، ومثل من الأمثال: إنّ البغاث بأرضنا يستنسر، أي أنّ الضعيف يصير قوياً..."، وهو مَثلٌ قديم ومشهور من أمثال العرب:" إنّ البُغَاثَ بأَرضِنَا يستنسر، البغاث: ضربٌ من الطير، وفيه ثلاث لغات: الفتح، والضم، والكسر، والجمع بِغْثان، قالوا: هو طير دون الرَخمة، واستنسر: صار كالنسر في القوّة عند الصيد بعد أن كان من ضعاف الطير، يضرب للضعيف يصير قويا، وللذليل يعزّ بعد الذل " (النيسابوري 1838 10/1).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الخاتمة

توصلت الباحثة في هذه الرحلة الماتعة مع البحث في أغوار بحر التبريزي في كتابه (تهذيب إصلاح المنطق) إلى أمورٍ متعددّة يمكن إجمالها بالآتي:

1. التبريزي أحد الأئمّة العِظام في اللّغة والأدب والنّحو، وكان حجة صدوقاً وثبتاً، وعالماً معروفاً في مجال العلم واللّغة.
2. ولم يكن تهذيب التبريزي شرحاً لكتاب إصلاح المنطق فقط بل تصرّف فيه بأمور أخرى كثيرة كحذف بعض المكرّرات وقوّم فيه ما اختلّ من الرواية في الشعر والنثر، وتصرّف أيضاً في بعض ألفاظه ومواده، وفسّر الكثير من الشّواهد الشّعرية والنثرية الموجودة فيه.
3. اعتنى التبريزي بالأبيات الشعرية عناية فائقة فنسبها إلى أصحابها وفسر كل لفظة مُبهمة أو غريبة موجودة في البيت الشّعري مع توثيقٍ للرواية.
4. من الأمور التي اتّكأ عليها التبريزي في الكتاب هي المعنى؛ حيث اشتغل على التراكيب الموجودة في اللّغة، فوظّف المعنى في توضيح تراكيب وألفاظ ابن السكيت وشرح الأبيات الشعرية وهي (القرائن)، وقد كانت تلك القرائن مصباحاً يهديه إلى تلك المعاني.
5. اهتم التبريزي بالسماع والقياس مع ترجيح كفّة السماع على القياس، فالسماع كان له الدور الأكثر فعالية وهو المُعتمد الأكبر والأهم في تفسيرات التبريزي وتحليلاته لعناصر النّص اللّغوي والشّعري في كتاب إصلاح المنطق.
6. لم يجد التبريزي حرجاً في استعمال اللغة وعلى مستوياتها كافّة حتى مجيء عصره، وهي عنده على قسمين: لغة أهل العالية، ولغة الناس المتداولة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

مصادر البحث:

- القرآن الكريم
- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396هـ)، نشر: دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر - آيار / مايو 2002 م.
- تهذيب إصلاح المنطق: الخطيب التبريزي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، نشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت – لبنان، ط1 1403 - 1983.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ)، نشر: دار الحديث – القاهرة، 1427هـ -2006م، عدد الأجزاء 18.

- شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية: إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، نشر: رسالة ماجستير - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، بإشراف: د محمد جمال صقر، عام النشر: 2012 م، عدد الأجزاء 1.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ)، نشر: دار صادر - بيروت -، ط3 1414 هـ، عدد الأجزاء: 15.
- مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت 518هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، نشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان، 1838م، عدد الأجزاء: 2.
- معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)، نشر: دار صادر، بيروت، ط 2 1995 م، عدد الأجزاء: 7.

البحوث والمجلات:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

- العبيدي و عبد نعيم ن . ف. (2019) لارك, 2(5الاتجاه الوظيفي في دراسة المعنى. 143)، https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss12.829 - 110

Research sources:

•The Holy Qur'an

•Notable figures: Khair al-Din ibn Mahmoud ibn Muhammad ibn Ali ibn Faris, al-Zarkali al-Dimashqi (d. 1396 AH), published by: Dar al-Ilm lil-Malayin, 15th edition - May 2002 AD.

•Tahdhib Islah al-Mantiq: Al-Khatib al-Tabrizi, edited by: Dr. Fakhr al-Din Qabawa, published by: Dar al-Afaq al-Jadida, Beirut - Lebanon, 1st edition 1403 - 1983.

•Biographies of the Nobles: Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Othman bin Qaymaz al-Dhahabi (d. 748 AH), published by: Dar al-Hadith - Cairo, 1427 AH - 2006 AD, number of parts 18.

•Explanations of Abu al-Ala and al-Khatib al-Tabrizi on the Diwan of Abu Tammam, a grammatical and morphological study: Ihab Abdul Hamid Abdul Sadiq Salama, published by: Master's Thesis - Faculty of Dar al-Ulum - Cairo University, supervised by: Dr. Muhammad Jamal Saqr, year of publication: 2012 AD, number of parts

•Lisan al-Arab: Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din bin Manzur al-Ansari al-Ruwaifi al-Ifriqi (d. 711 AH), published by: Dar Sadir - Beirut -, 3rd edition 1414 AH, number of parts: 15.

•Collection of Proverbs: Abu al-Fadl Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim al-Maydani al-Nishaburi (d. 518 AH), edited by: Muhammad Muhyi al-Din Abdul Hamid, published by: Dar al-Ma'rifah - Beirut, Lebanon, 1838 AD, number of parts: 2.

•Dictionary of Countries: Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah al-Rumi al-Hamawi (d. 626 AH), published by: Dar Sadir, Beirut, 2nd edition 1995 AD, number of parts: 7.

Research and Journals:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

•Functional Trend in the Study of Meaning. Al-Ubaidi and Abdul Naeem N. F. (2019) Lark, 5(2), 143 - 110 https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss12.829